الفصل السادس عشر

الحب .. والنت

إنه .. ومما لا شك فيه .. أن لوسائل الإعلام .. أثرا هاما في عملية التنشئة الإجتماعية ..

من خلال إشباع الحاجات النفسية والثقافية لأولادنا ..

مثل الحاجة إلى المعارف .. والمعلومات الثقافية .. والتوافق مع كل ما هو جديد ..

وقد دخلت شبكة الإنترنت في منافسة قوية مع كل أدوات .. ووسائل الإعلام ..

فظهر الفيس بوك بقوة في حياتنا اليومية .. لدرجة أفقدت الشباب جانبا كبيرا من حياته الإجتماعية على الواقع .. والتواصل مع أفراد أسرته .. لصالح التواصل مع أصدقاؤه أحيانا ..

وأحيانا أخري يكون التواصل مع أشخاص " وهميون " .. أو " إفتراضيون " ..

وقد يتحولون .. في مرحلة ما .. إلي أصدقاء جدد .. هم أصدقاء الإنترنت ..

أو الفيس بوك .. وتويتر ..

وقد أثرت شبكة الإنترنت .. بالذات شبكات التواصل الإجتماعي ..

مثل الفيس بوك .. أثرت على خصائص أبنائنا الشخصية .. ومكوناتها الثقافية ..

والإجتماعية ..

بل أوجدت لهم الأصدقاء والرفقة والصحبة .. كل هذا في عالم إفتراضي ..

ينافس العلاقات الإجتماعية في عالمنا الواقعي ..

وأحيانا تتطور العلاقات العاطفية بينهم .. فتتعدي مرحلة الصداقة ..

حيث ينشأ بينهم مشاعر جديدة .. وسرعان ما يربط الحب بين قلوبهم ..

دون أن يكون بينهم واقع مشترك ..

فقط .. مشاعر وعواطف .. إفتراضية .. في عالم إفتراضي ..

وقد إختلفت الآراء والتصورات حول موضوع العلاقات العاطفية ..
التي تنشأ من خلال مواقع التواصل الإجتماعي ..
فهناك من يؤيد ..
ويري أن تبادل مشاعر الحب من خلال الفيس بوك شيئا محمودا ..
ولهذا الفريق دفاعه عن رأيه ..
وهناك من يعارض .. وأيضا له مبرراته ..
والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا جميعاً:
هل يمكننا الوثوق بالعلاقات الإجتماعية التي تنشأ عبر شبكات التواصل الإجتماعي .. على الإنترنت؟ .. مثل الفيس بوك .. و تويتر ..
فإذا كانت الإجابة هي " نعم " ..
فإلى أي مدى؟ ..
تقول لنا سيدة .. خريجة كلية العلوم الإجتماعية .. وقد خاضت هذه التجربة ..
تجربة الحب من خلال الفيس بوك ..
وهي زوجة سعيدة .. لشاب تعارفا .. وتحابا ..
من خلال مواقع التواصل الإجتماعي .. الفيس بوك .. تقول :
إنني زوجة سعيدة ..
وأحب زوجي الذي تعارفت عليه من خلال موقع الفيس بوك ..
وهذا يؤكد أن الحب من خلال الفيس بوك .. ليس محكوما بالفشل .. بالضرورة ..
ولا يموت .. قبل أن يولد .. بالضرورة ..

كما أن الحب من خلال العالم الواقعي .. ليس بالضرورة يولد خالدا .. لا يموت ..
فإذا كانت مشاعر الحب الواقعي .. أي من خلال العالم الواقعي ..
هي تجربة إنسانية .. قد تدوم .. وقد تموت ..
وفقا لتوافر مناخ معين .. وظروف معينة .. وإعتبارات معينة ..
فإن نفس هذه الإعتبارات .. والظروف .. والمناخ .. سيكون لها نفس التأثير ..
في الحب الذي ولد من خلال مواقع التواصل الإجتماعي ..
أي أن فرص النجاح .. والفشل .. واحدة .. في كلتا الحالتين ..
ويغذي الحب .. في كلتا الحالتين .. وجود أرضية واسعة من الإهتمامات المشتركة ..
ومساحة كبيرة من التشابه في الآراء .. في المواضيع المختلفة ..
فيتولد الإنسجام العاطفي ..
ولكن ماذا لو ..
ماذا لو لم يقدم الشباب .. والفتيات .. أنفسهم بطريقة واضحة ..
أو قل .. بطريقة صادقة ..
ماذا لو كانت المعلومات التي يقدمونها عن أنفسهم .. كاذبة ..
أو غير صادقة .. أو حتي مبالغ فيها ..
و إذا ما سار الطرفان إلي نهاية الطريق .. وارتبطا .. وتزوجا ..
عندما يخرج الزوج إلي عمله .. ألن يتطرق الشك إلى قلبه ..
بأن الزوجة إنما هي تدمن التواصل الإجتماعي من خلال الفيس بوك ..
ولن تستطيع التوقف عن الحصول علي أصدقاء جدد ..
ولا يعلم إلا الله .. إلى ماذا تقودها هذه الصداقات الجديدة .. والعلاقات الجديدة ..
بل إن هذا .. هو نفسه ما سوف يحدث من الزوجة ..
فيا ويل قلبها من الشكوك والظنون ..
كلما رأت زوجها يتواصل مع فتاة في الفيس بوك ..

وهو ما سوف يحدث حتما .. فقد اعتاد الزوج أيضا على ذلك ..
ربما أيضا لحد الإدمان ..
ناهيك عن الحالات التي لا يهدف الشباب من ورائها إلا العبث .. والتسلية ..
واللعب بقلوب من يتم اصطياده .. من كلا الجنسين ..
مع غياب .. بل استحالة .. القدرة علي التعرف علي مدى صدق ما يقال ..
من كل طرف للطرف الآخر ..
بل إن الإحتمال ليس بقليل .. أن يكون هؤلاء الشباب يفتقدون إلي الحب في حياتهم اليومية ..
وتكون ظروفهم غير مهيئة لإنشاء علاقات حقيقية ..
لذا فإنهم يلجأون إلي مواقع التواصل الإجتماعي ..
مثل الفيس بوك .. على سبيل المثال ..
للبحث عن هذه العلاقات الإجتماعية التي يحركهم فقدانها ..
فيبحثون عن فرصة لإقامة العلاقات العاطفية .. لإرضاء رغباتهم ونزواتهم ..
فتكون علاقات غير صحيحة .. بل مزيفة ..
تغلفها الأكاذيب .. والمبالغات .. وانعدام الصراحة ..
بل إن أسماؤهم .. هي في الغالب غير صحيحة .. ووهمية ..
ولكن .. على أرض الواقع ..
أليست كل هذه التحفظات على الإرتباط من خلال الإنترنت واردة ؟! ..
نعم .. واردة ..
فحتى في الواقع .. قد يقدم الشباب نفسه بطريقة مبالغ فيها .. أو حتى بطريقة كاذبة ..
وحتى الرغبة في التسلية .. قد تكون أيضا هي ما يحرك أحد .. أو كلا الطرفين ..
حتى الشكوك .. قد تكون موجودة بعد الزواج .. من أحد .. أو كلا الطرفين ..
فقد يتسائل الشاب بعد الزواج .. ألم تكن تحبني قبل الزواج .. من أين لي أن
أعرف أنني كنت الوحيد في حياتها .. وكيف أعرف أنه لا يوجد أخرون ..

كل الإحتمالات الموجودة في حالة الزواج من خلال الإنترنت .. التي تدعم فكرة إنهيار هذا الزواج .. هي موجودة بنفس الدرجة في الزواج عن حب واقعي .. وبنفس الدرجة والقوة ..

قد يكون الفرق .. فقط .. هو القبول الإجتماعي .. من عدمه .. لفكرة الزواج من خلال الإنترنت ..

وربما لم ينضج المجتمع .. إجتماعيا .. وثقافيا .. بالدرجة الكافية .. لتقبل هذه الفكرة ..

وقد يحين الوقت .. الذي تخبر فيه الأسرة الجيران و الأقرباء .. أن إبنتهم قد إلتقت بزوجها على صفحات الإنترنت .. بلا حرج ..

ولا نري .. على الأقل إلى أن يحين هذا الوقت .. ضرورة للوقوع في هذه التجربة .. وعلى أية حال ..

المسألة ليست في السؤال .. هل تم التعارف بين الطرفين من خلال الواقع .. أم من خلال مواقع التواصل الإجتماعي ..

المهم هو أن الحب موجود ..

وقد وقع فيه كلا الطرفان ..

فهل الزواج عن حب .. بالضرورة ناجح ؟ ..

أي هل يكفي الحب لاستمرار الزواج ؟!

كثيرون هم من يسألون هذا السؤال .. بالإضافة إلى سؤال أخر ..

هل الزواج عن حب ..

سوف يثير شكوك الزوج .. بأن زوجته لديها علاقات مع أشخاص آخرين ؟! ..

مثلما كانت على علاقة معه قبل الزواج ..

بالنسبة للسؤال الأول ..

لابد أن ينتبه الزوجان .. إلى أن الحب وحده لايكفي أبداً ..

لبناء علاقة زوجية ناجحة ..

بل الحب هو الدرجة الأولى من السلم .. والخطوة الأولى في طريق الإستقرار ..
وتأتي الصعوبات بعدها !..
فلا بد من توافر الأسباب التي تمنح الحب الإستمرارية ..
وهي كثيرة هذه الأسباب ..
فبعضها يتعلق بالحب ذاته ..
وبعضها يتعلق بشخص الحبيب . . وشخص المحبوب ..
والبعض الأخر مادي ..
ويتعلق بظروف خارجية .. لا تقع تحت سيطرة الزوج و الزوجة ..
أما عن الأسباب التي تتعلق بالحب ذاته ..
فلا بد من توافر التكافؤ الفكري ..
فسوف يكون زواجا هشا .. إذا كان التكافؤ الفكري غير موجود ..
كأن يكون أحد الطرفين يحمل مؤهلا دراسيا عاليا ..
وعلى درجة كبيرة من الثقافة .. وقد أفتتن بجمال الطرف الأخر..
والذي لا يحمل أية درجة من التأهيل العلمي ..
ولا يكون على أية درجة من الثقافة ..
فلن يتعدى هذا الحب مرحلة الإفتتان ..
وهي مرحلة يكون فشل الحب فيها هو الإحتمال الأكبر ..
فلا حتى يتعداها إلى المرحلة الثانية .. من مراحل الحب ..
وينتهي الحب مع أول تجربة صدام فكري ثقافي ..
لا يستطيع معه الطرفان الإستمرار ..
ولا التواصل ..
وفي هذا السياق .. يحضرني تجربة حب .. وزواج ..
انتهت في اليوم الأول للزواج .. بسبب عدم التوافق الفكري و التوافق الثقافي ..

فلم تكن مراسيم الزواج قد تمت بعد .. فقط عقد القران ..
وكان أحد المطربين يحيي حفل الزواج ..
وكالعادة .. سأل المطرب الزوج .. ماذا يطلب من أغنيات ..
يهديها إلي عروسه ..
فيغنيها المطرب .. تحية للزوجة ..
فطلب الزوج أغنية محمد عبد الوهاب .. " من غير ليه " ..
وفعلا قام المطرب بتأدية مقطع منها ..
ثم توجه المطرب إلي العروس ..
وطلب منها أن تهدي بدورها أغنية لزوجها ..
فما كان من الزوجة .. إلا أن طلبت أن تهدي زوجها ..
أغنية لمطرب لا أعرف إسمه .. هي أغنية .. بحبك يا حمار !!!!
ووقف الحضور مندهشين .. ولم يكن الزوج أقل منهم دهشة ..
إلا أن قراره كان خاطفا .. قويا ..
وأنهي الزوج لحظة الإندهاش .. بقوله الهاديء لزوجته ..
أنت طالق !
ولم يكن قد مضى على زواجهما بضعة دقائق ..
ومن الأسباب الأخرى .. التي يتوقف عليها إستمرار الحب .. من عدمه ..
هو التوافق العاطفي .. إلا أن التوافق العاطفي يمكن تنميته ..
مع الرغبة الشديدة للطرفين في إستمرار الحب .. والزواج ..
أما الأسباب الجنسية .. لاستمرار الحب .. و الزواج .. من عدمه ..
فهي تتوقف على التوافق الجنسي بين الزوجين ..
و هو يختلف كثيرا من زوج .. لآخر ..
و من زوجة لأخرى ..

فإذا كان التوافق الجنسي موجودا .. ويحقق درجة كافية من الإشباع ..
لكلا الطرفين ..
فهذا مؤشر جيد .. لاستمرار الحب .. واستمرار الزواج ..
أما إذا كان التوافق الجنسي الموجود .. ليس بالدرجة التي تحقق الإشباع لأحد الطرفين ..
فإن الإستمرار .. من عدمه .. إنما يقرره الطرف الذي لا يتحقق له الإشباع ..
فإذا كان هذا الطرف .. يقدر مسئولياته .. وعلى درجة كافية من الحب العاطفي ..
ويعلم أن الحب ليس جنسي فقط .. وأن الزواج .. ليس علاقة جنسية فقط ..
فسوف يقرر الإستمرار.. والصبر ..
أعرف رجلا مسنا .. تجاوز السبعينيات ..
على درجة كبيرة من الحب الذي يربطه بزوجته ..
قال لي هذا الرجل المحب ..
لقد توقفت قدراتنا الجنسية منذ فترة ليست قصيرة .. أنا و زوجتي ..
إلا أن حبي لها لم يتوقف ..
ولم يتوقف أيضا حبها لي ..
ولقد أصبح يكفينا فقط .. أن ننام إلى جوار بعضنا ..
وقد تلامست أيدينا .. أو أرجلنا ..
فسعادتنا إنما هي في مجرد وجودنا في مكان واحد يجمعنا ..
وهذا هو الحب الحقيقي .. وهو الحب الدائم ..
ولقد رأينا منذ قليل .. الحب الذي إنتهي من أول يوم ..
وكل هذا يجيء في سياق الأسباب التي تؤدي إلى إستمرار الحب .. أو فشله ..
وأما بالنسبة للسؤال الثاني ..
هل الزواج عن حب .. سوف يثير شكوك الزوج .. بأن زوجته لديها علاقات
مع أشخاص آخرين ؟! .. مثلما كانت على علاقة معه قبل الزواج ..

فذلك يعتمد على شخصية الزوج والزوجة .. والظرف الذي تعارفا فيه ..
وسلوكياتهما بعد الزواج .. فإذا كان الزوج (أو الزوجة) مصاب بالشك المرضي ..
فسواء تزوج عن حب .. أو كان الزواج تقليديا .. من خلال العلاقات الإجتماعية ..
فسوف يشك في زوجته .. ويصعب الحياة عليها ..
وقد يراقب مكالماتها التليفونية .. أو يتفحص تليفونها الخلوي .. أو قد يصل الأمر إلى فتح حقيبة يدها ويفتش فيها من الحين للآخر .. أو حتى يراقبها إذا توافر له الوقت .. أثناء ذهابها أو عودتها من العمل ..
هذا الزوج المريض بالشك .. لن يستطيع أن يتخلص من القلق .. والوسواس القهري .. بل لن يستطيع التوافق مع زوجته .. التي تحاصرها أسئلته .. أين ذهبتي ..
لماذا تأخرتي .. لماذا ترتدين هذا الفستان اليوم .. وغيرها .. وغيرها من الأسئلة ..
وإذا كانت الزوجة متحررة في تصرفاتها .. و في تعاملها مع الجنس الآخر ..
وتتكلم وتفتخر بعلاقاتها .. فلن تكسب ثقة زوجها .. و لن تهنأ لهما حياة ..
وإذا كان ظرف تعارفهما حفلة ماجنة .. يشترك فيها الرجال والنساء ..
أو لقاء عابر في الشارع ..
أو من خلال شبكة التواصل الإجتماعي ..
سواء الفيس بوك .. أو تويتر .. أو خلافه ..
فمن الطبيعي ألاّ يثق أي منهما بالآخر بعد الزواج ..
فالشك يسمم العلاقة بين الحبيبين .. وبين الزوجين ..

الشك يجعل الحياة صعبة .. وقد يسبب الإكتئاب ..

فتنطفيء الحياة ..

وتفقد رونقها وبهجتها ..

وتكثر المنازعات .. ويتعذب كلا الطرفين ..

الطرف الذي يشك ..

سوف تحرقه الشكوك ..

والطرف المشكوك في حقه ..

سوف ينتهز الفرصة التي قد تسنح له ..

للفرار .. بسبب إهدار كرامته ..

ويفقد كلا الطرفين .. كل رصيد الحب ..

ويحل محله النفور ..

وتصبح الحياة غير محتملة ..